

التحرير والتنوير

جملة معترضة بين حكايات أحوال المشركين وأهل الكتاب القصد منها تأنيس الرسول E من أسفه على ما لقيه من أهل الكتاب مما يماثل ما لقيه من المشركين وقد كان يود أن يؤمن به أهل الكتاب فيتأيد بهم الإسلام على المشركين فإذا هو يلقي منهم ما لقي من المشركين أو أشد وقد قال لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود كلهم فكان لتذكير ا إياه بأنه أرسله تهدة لخاطره الشريف وعذر له أبلغ الرسالة وتطمين لنفسه بأنه غير مسئول عن قوم رضوا لأنفسهم بالجحيم . وفيه تمهيد للتأسيس من إيمان اليهود والنصارى . وجيء بالتأكيد وإن كان النبي لا يتردد في ذلك لمزيد الاهتمام بهذا الخبر وبيان أنه ينوه به لما تضمنه من تنويه شأن الرسول .

وجيء بالمسند إليه ضمير الجلالة تشريفا للنبي A بعز الحضور لمقام التكلم مع الخالق تعالى وتقدس كأن ا يشافهه بهذا الكلام بدون واسطة فلذا لم يقل له إن ا أرسلك . وقوله (بالحق) متعلق ب (أرسلناك) . والحق هو الهدى والإسلام والقرآن وغير ذلك من وجوه القرآن والمعجزات وهي كلها ملابسة للنبي A في رسالته بعضها بملاسة التبليغ وبعضها بملاسة التأيد . فالمعنى أنك رسول ا وأن القرآن حق منزل من ا . وقوله (بشيرا ونذيرا) حالان وهما بزنة فعيل بمعنى فاعل مأخوذان من بشر المضاعف وأنذر المزيد فمجيئهما من الرباعي على خلاف القياس كالقول في بديع السماوات والأرض المتقدم أنفا وقيل البشير مشتق من بشر المخفف الشين من باب نصر ولا داعي إليه . وقوله (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) الواو للعطف وهو إما على جملة (إنا أرسلناك) أو على الحال في قوله (بشيرا ونذيرا) ويجوز كون الواو للحال . قرأ نافع ويعقوب بفتح الفوقية وسكون اللام على أن لا حرف نهى جازم للمضارع وهو عطف إنشاء على خبر والسؤال هنا مستعمل في الاهتمام والتطلع إلى معرفة الحال مجازا مرسلا بعلاقة اللزوم لأن المعنى بالشيء المتطلع لمعرفة أحواله يكثر من السؤال عنه . أو هو كناية عن فطاعة أحوال المشركين والكافرين حتى أن المتفكر في مصير حالهم ينهى عن الاشتغال بذلك لأنها أحوال لا يحيط بها الوصف ولا يبلغ إلى كنهها العقل في فطاعتها وشناعتها وذلك أن النهي عن السؤال يرد لمعنى تعظيم أمر المسؤول عنه نحو قول عائشة " يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن " ولهذا شاع عند أهل العلم إلقاء المسائل الصعبة بطريقة السؤال نحو (فإن قلت) للاهتمام . وقرأه جمهور العشرة بضم الفوقية ورفع اللام على أن لا نافية أي لا يسألك ا عن أصحاب الجحيم وهو تقرير لمضمون (إنا أرسلناك بالحق) والسؤال كناية عن المؤاخذه واللوم مثل

قوله A (وكلکم مسؤول عن رعیته) أي لست مؤاخذا ببقاء الکافرين علی کفرهم بعد أن بلغت لهم الدعوة .

وما قيل أن الآیة نزلت فی نهیه A عن السؤال عن حال أبویه فی الآخرة فهو استناد لروایة واهیة ولو صحت لکان حمل الآیة علی ذلك مجافیا للبلاغة إذ قد علمت أن قوله (إنا أرسلناک) تأنیس وتسکین فالإتيان معه بما يذكر المکدرات خروج عن الغرض وهو مما يعبر عنه بفساد الوضع .

(ولن ترضى عنک اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدی ا□ هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءک من العلم مالک من ا□ من ولي ولا نصیر [120]) عطف علی قوله (ولا تسأل عن أصحاب الجحیم) أو علی (إنا أرسلناک) وقد جاء هذا الکلام المؤیس من إیمانهم بعد أن قدم قبله التأنیس والتسلية علی نحو مجيء العتاب بعد تقديم العفو فی قوله تعالى (عفا ا□ عنک لم أذنت لهم) وهذا من کرامة ا□ تعالى لنبيه A .